

دور الأفلام التسجيلية الفرنسية في التسويق السياحي للوجهة الجزائرية: دراسة حالة

The Role Of Short French Documentaries In The Promoting Of the Algerian Tourist Destination – Case Study

أ.بن شراد محمد أمين *

مخبر تطوير نظم الجودة في التعليم العالي والتعليم الثانوي، جامعة باتنة1 الحاج لخضر

mohamedamine.bencharad@univ-batna.dz

د.بن أحمد الطاهر

جامعة باتنة1 الحاج لخضر ، الإيميل tahar.benahmed@univ-batna.dz

تاريخ القبول 2022/04/28

تاريخ الاستلام 2021/05/06

الملخص

يهدف هذا المقال إلى التعرف على كيفية تسويق الأفلام التسجيلية السياحية الفرنسية القصيرة للوجهة السياحية الجزائرية والترويج لمقوماتها من خلال دراسة حالة فيلم تسجيلي فرنسي، كما سعى الباحثان لرصد أهم مقومات الجزائر السياحية في الوثائقيات الفرنسية وطريقة تقديمها، اعتماداً على منهج تحليلي سيميولوجي لمضامين المحتوى الفيلمي الفرنسي محل الدراسة، بغية فهم وتفكيك طريقة التسويق السياحي المعتمدة.

وقد أظهرت نتائج التحليل المنجز أنّ هذا الفيلم التسجيلي قدّم الوجهة السياحية الجزائرية بطريقة إيجابية للمتلقين، بأسلوب فنيّ وغني بالمعلومات المكثفة من حيث المحتوى، وعبر بشكل جيّد عن ثراء الجزائر السياحي وتنوعه، رغم وجود بعض المبالغات الفنية في الفيلم إلا أنه نجح إلى حد كبير في تسويق الوجهة السياحية الجزائرية للمتلقين الغربيين.

الكلمات المفتاحية: السياحة الجزائرية، الأفلام التسجيلية الفرنسية، التسويق السياحي.

Abstract:

This scientific article aims to know how to present Algerian tourism and promote its ingredients in French documentaries through studying a film which was produced about tourisme, and try to monitor the most important of these ingredients and the way they are presented, by analyzing the content of a film, and try to understand and dismantle the approved method of promotion..

دور الأفلام التسجيلية الفرنسية القصيرة في التسويق السياحي للوجهة الجزائرية — بن شراد/ بن أحمد الطاهر

The results of this analysis showed that this promotional documentary film has succeeded to a extent in presenting the Algerian tourist destination in an artistic, attractive, high way content, rich in extensive information and correctly expressing the richness and diversity of Algeria's tourism.

Keys Words: algerian tourism, French documentaries, promoting algerian destination.

* المراسل

مقدمة:

تعتبر الأفلام التسجيلية منذ ظهورها واحدة من أهم الأدوات المرئية وأكثرها قدرة على التأريخ من خلال نقلها الواقع كما هو، كون هدفها هو التسجيل والتأريخ والتوثيق بطريقة فنية للوقائع والأحداث و الشخصيات المختلفة، بعيداً عن إدخال أي تغيير عميق على هذه الوقائع من قبل مخرج العمل، والاكتفاء بإظهار هذا الواقع كما هو بإيجابياته وسلبياته بشكل فني جميل.

وفي وقت لاحق، ومع انتشار الأفلام التسجيلية القصيرة منها والطويلة، وكثرة الإقبال عليها وتوظيفها في معالجة كل المواضيع المحتملة، بدأ النظر إليها على أنها أداة تسويقية جيدة تصلح لتقديم الخدمات الترويجية للمنتجات والسلع، وللأفكار والشخصيات، وكذا للوجهات السياحية.

إذ بات اعتماد الوثائقيات والتسجيليات أداةً لتسويق الوجهات السياحية غير المعروفة منها خاصة أمراً منتشرًا وشائعًا، وقد كان للجزائر حظًا لا بأس به من هذا الترويج التسجيلي، من خلال بضعة أفلام سياحية غربية: فرنسية وأمريكية وبريطانية، رُوّجت للجزائر سياحياً وعرّفت بها، وهي الواجهة التي نادراً ما تحضر في أعمال تسجيلية طويلة مصورة .

وتعتبر سلسلة echappée belle التسجيلية التلفزيونية الفرنسية شكلاً مبتكراً وجديداً حول القدرة التسويقية للوجهات السياحية من خلال الأفلام التلفزيونية التسجيلية، ودافعاً لنا لدراسة هذا الشكل التسويقي الجديد من خلال العدد المخصص للجزائر من هذه السلسلة التسجيلية، الذي جاء بعنوان صيف في الجزائر.

1- إشكالية الدراسة:

منذ الظهور الأول لها، كانت الأفلام التسجيلية أداةً حيوية في تسجيل الأحداث وتأريخها، ومعالجتها والتوثيق لها، ونجحت في مسّ جميع جوانب الحياة والاقتراب منها، اجتماعيةً كانت أو سياسيةً، أو ثقافيةً أو اقتصاديةً أو سياحية، وحققت في ذلك نجاحات عالمية مشهوداً بها.

دور الأفلام التسجيلية الفرنسية القصيرة في التسويق السياحي للوجهة الجزائرية — بن شراد/ بن أحمد الطاهر

وفي فرنسا - التي تعدّ الموطن الأول للأفلام التسجيلية - ظهرت بضع مئات من الأفلام الريادية التي عالجت مواضيع متنوعة، لم تشمل فقط الداخل الفرنسي، بل مستّت أمماً وحضاراتٍ تبعد عن فرنسا آلاف الكيلومترات، وقدمتها للمشاهدين بأفضل صورة وأعمق محتوى.

وعلى مستوى الأفلام التسجيلية ذات الطابع السياحي، فإنّ لفرنسا تجربةً تكاد تكون فريدة من نوعها، قدّمت من خلالها بعض الجهات السياحية الأكثر غرائبية وتميزاً، بأسلوب توثيقي وجمالي يندر تكراره في التجارب التسجيلية السياحية الأخرى، والتي كان للجزائر - ولحسن الحظ - نصيب طيبٌ منها.

باتت السياحة اليوم، واحدةً من أهم الأنشطة الإنسانية والثقافية والاقتصادية، باحتلالها مكانةً هامةً في أوساط المجتمعات الحديثة أو تلك السائرة في طرق النمو، وغدت لاعباً محورياً في عملية خلق الثروة وتدعيم اقتصاديات الدول، وبديلاً ناجحاً للدول التي لا تمتلك مواردَ طبيعيةً أو نسيجاً صناعياً وزراعياً قوياً قادراً على ملء خزائنها العمومية، كما تبرز قيمتها مع دورها بالغ الأهمية في ضمان تجربة حياتية حياة مائعة سواءً للفرد السائح أو للفرد المشتغل في قطاع السياحة.

كلهذا، جعل من الأفلام التسجيلية ذات الطابع السياحي التسويقي منتشرة بقوة خلال السنوات الماضية، وباتت أداة هامة يستعملها الفاعلون السياحيون في تسويق الوجهات والتعريف بها وتقديمها للجمهور الذي بات أكثر ميلاً لنيل قدر أكبر من المعلومات من مصادر غير تقليدية قد تُوفرها له الأفلام التسجيلية الفرنسية والغربية عموماً،

وقد كانت الجزائر حاضرةً في عديد الأفلام التسجيلية السياحية المرجعية، التي حاولت تقديم الجزائر سياحياً والتعريف بها، أشهرها فيلم صيف في الجزائر الفرنسي، وهو وثائقي مختصر هدفه التعريف بالمقومات السياحية للجزائر والتنوع الذي تتمتع به.

إن هذا المقال يسعى لفهم العلاقة بين هذه النوعية من الأفلام التسجيلية السياحية والتسويق للوجهة الجزائرية عند السائح الغربي، طارحين في هذا الصدد التساؤل التالي:

كيف تمّت عملية التسويق للوجهة السياحية الجزائرية من خلال فيلم صيف في الجزائر الوثائقي السياحي؟

وقد أُلحقت بالأسئلة الفرعية التالية:

- ما هي أهم المقومات السياحية الجزائرية المشار إليها في هذا الفيلم التسجيلي السياحي؟
- كيف سوقت الأفلام التسجيلية الفرنسية للوجهة السياحية الجزائرية من خلال فيلم صيف في الجزائر؟

- كيف جُسّدت الصورة الجزائر سياحياً في فيلم صيف في الجزائر التسجيلي الفرنسي القصير؟

2- أهداف الدراسة:

دور الأفلام التسجيلية الفرنسية القصيرة في التسويق السياحي للوجهة الجزائرية — بن شراد/ بن أحمد الطاهر
يمكن تلخيص الأهداف التي تسعى لها دراستنا في محاولة التعرف على أسلوب تسويق المقومات السياحية في الجزائر في الأفلام التسجيلية الفرنسية القصيرة، والعمل على استخراج نظم التسويق المعبر عنها عبر تحليل محتوى هذا الفيلم التسجيلي السياحي الفرنسي سيميولوجياً، وتحقيق فهم أوفى لتمظهر الجزائر السياحي في المحتوى الفيلمي الوثائقي التسويقي الفرنسي.

3-منهج الدراسة:

على اعتبار أن المنهج هو الطريق الذي يتبعه الباحث أثناء إجراء دراسته، فهو ضروري جداً في مختلف البحوث والدراسات العلمية، كونه يمثل مجموع الخطوات المنظمة التي على الباحث إتباعها في إطار الالتزام بتطبيق القواعد التي تمكنه من الوصول إلى النتيجة المسطرة.

وعلى اعتبار أن طبيعة الموضوع في أي بحث علمي، هي العامل الوحيد المناسب للمنهج المناسب في عملية البحث، فإن الدراسة التي بين أيدينا ستعتمد المقاربة السيميولوجية، التي تعدّ من أهم المقاربات المعتمدة في دراسة المواد السمعية البصرية، عبر قيام الباحثين بتحليل عملي يستهدف فكّ العلاقات الداخلية النوعية الرابطة بين عناصر الخطابات الإعلانية محل الدراسة، وتفسير هذه العلاقات واستقرائها، ثم تحليل ما تم التوصل إليه وتفسيره بشكل علمي أكاديمي، للوصول إلى نتائج يمكن الأخذ بها، والتي ستسمح لنا لاحقاً بالوقوف على الدلالات الخفية والضمنية للرسالة الإعلانية محل التحليل، كون التحليل السيميولوجي هو أداة بحثية غير محصورة في أطر ضيقة بل هي مفتوحة ويمكن للباحث تطويعها وفق ما تقتضيه طبيعة البحث والمادة محل التحليل.

وفي هذا الصدد، يقول الفرنسي موريس إنجرس، بأن المقاربة السيميولوجية هي "طريقة خاصة غير تقليدية، تستعمل النظرية العلمية دون تقليدٍ أعمى، أين يجوز للباحث التغيير فيها وفق ما تقتضيه نوعية الإشكالية البحثية" (Angers, 1997)، وهو اللا حصر الذي يسمح لنا بتقديم تحليل سيميائي في المستوى بعيداً عن الضبط العالي الذي تفرضه الأدوات والمناهج البحثية الأخرى، ويقصد بالتحليل هنا "تلك العمليات العقلية التي يستخدمها الباحث في دراسته للظواهر والأحداث والوثائق لكشف العوامل المؤثرة في الظاهرة المدروسة وعزل عناصرها عن بعضها بعضاً ومعرفة خصائص وسمات هذه العناصر، وطبيعة العلاقات القائمة بينها، وأسباب الاختلافات ودلالاتها، لجعل الظواهر واضحةً ومدركةً من جانب العقل" (الدفاعي والعيدي، 1996)، مع ضرورة تذكير الباحثين بأن التحليل السيميولوجي كغيره من عديد المفاهيم المرتبطة بعلوم الإعلام والاتصال، لم يُحسم أمره بعد بتعريف جامع مانع إلى حد الاتفاق التام، في ظل المشكلات العديدة المرتبطة بحدوده وإجراءاته على المستويات التطبيقية (أمنهج هو أم أداة؟)، على الرغم من التطور والتوسع الهائلين اللذين شهدهما التحليل السيميولوجي في الدراسات والبحوث السمعية البصرية والأيقونية عموماً خلال العقود القليلة الماضية.

دور الأفلام التسجيلية الفرنسية القصيرة في التسويق السياحي للوجهة الجزائرية — بن شراد/ بن أحمد الطاهر
ويشير كلُّ من الباحثين الفرنسيين جاك أمون وميشال ماري في كتابهما المرجعي "تحليل الأفلام"
إلى أن عملية تحليل الأفلام، والمحتوى السمعي البصري بشكل عام، له مسلمات ثلاث هي:
1) أنه لا وجود لمنهج عمومي لعملية تحليل المادة، بمعنى أنها متروكة للباحث وأهداف الدراسة.
2) عملية تحليل العمل لا محدودة ولا تنتهي، باعتبار أن هناك دائماً مجالاً للإضافة، أو شيء آخر
يمكن تحليله في العمل.
3) من الضروري معرفة تاريخ العمل والخطابات حوله وما رافقه، اجتناباً للتكرار. (أمون، ماري،
1999)

4- حالة الدراسة:

من المتفق عليه أنّ دراسة حالة بحثياً ككل هو أمر ممكنٌ ومعقد في نفس الوقت، على اعتبار أن
دراسة الحالة هي "تحليل وصفي مسحي، يستخدم لوصف وضع ما، أو فرد، أو مجتمع، أو سلوك معين
بشكل معمق، وتفترض دراسة لحالة أن موضوع البحث يشكل مع بيئته وحدة متكاملة" (المزاهرة،
2014)، وقد يرتبط مكن صعوبة دراسة الحالة مع ما يتطلبه موضوع البحث من جهد ووقت وموارد
كبرى للإحاطة به من جميع الجوانب" (مرسلي، 2010)

وإذا كان موضوع دراستنا هذه يتناول موضوع التسويق للمقومات السياحية المقدمة عن الجزائر في
الأفلام التسجيلية السياحية القصيرة الفرنسية، فإن حالة بحثنا تُضبطُ على هذا الأساس، بدراسة
فيلم صيف في الجزائر التسجيلي الفرنسي الذي تناول الجزائر سياحياً، وروّج لها ولمقوماتها، وقد تمّ
اختيار هذا الفيلم لاعتبارات عدة هي :

• أنّ له علاقة مباشرة بموضوع الدراسة، وهو تسويق مقومات الجزائر السياحية في الأفلام
التسجيلية السياحية الفرنسية.

- أنّ هذا العمل هو إنتاج فيلمي تسجيلي فرنسي جديد مرتبطة بالمتغير التابع من دراستنا.
- أنّ هذا الفيلم يمثل توجهاً جديداً للأفلام السياحية التسجيلية الفرنسية المعتمدة على
التكثيف في تقديم المعلومة في أبهى صورة ممكنة.

5- ضبط مفاهيم الدراسة:

أ- السياحة:

هي نشاطٌ اقتصادي يهتم باستقبال وإقامة السياح الوافدين من مقار إقامتهم الدائمة، من أجل
المتعة والراحة لفترة زمنية محدودة (بظاظو، 2006)، ويركز هذا النشاط الإنساني الاقتصادي على
ثلاثة عناصر تضم كلاً من:

1. الحركة، ويُقصد بها حركة السياح نحو المواقع السياحية عبر وسائل النقل المختلفة.
2. الاستقرار لفترة زمنية معينة ومعلومة داخل الموقع السياحي.

دور الأفلام التسجيلية الفرنسية القصيرة في التسويق السياحي للوجهة الجزائرية — بن شراد/ بن أحمد الطاهر

3. النتائج الاقتصادية والاجتماعية المترتبة عن العنصرين السابقين .

فالسياحة نشاطٌ يحوي عمليتي إنتاج واستهلاك، تُحتمل تنقلاتٍ خاصة بها خارج مقر الإقامة الأصلي ليلة واحدة على الأقل، إمّا للتسلية أو التداوي، أو عقد وحضور اجتماعات، أو زيارة المقدسات الدينية والتجمعات الرياضية، حسب جون ميشال أومور Jean-michel Hoemer، مسؤول المجلس الأعلى للسياحة الفرنسي ومقره باريس) حاج عبد القادر، (2010)

وفي تعريفنا الإجمالي، يمكن أن نقول أن السياحة هي مجموع تلك الأنشطة التي يقوم بها الفرد خارج الحدود الجغرافية لمدينته من أجل تغيير الأجواء والترفيه أو العلاج والحصول على الراحة لمدة زمنية محدودة ومعلومة، بشكل فردي أو مع العائلة أو الأصدقاء، والتي تسمح له باكتشاف مناطق جديدة واختبار خبرات جديدة قد لا تكون متاحة له في مقر إقامته.

ومن المهم جدا التعرّيج على مفهوم السائح، الذي ارتبط تعريفه بتعريف صناعة السياحة، فكان السائح بمثابة المدخل لتعريف صناعة السياحة من خلال ما يقوم به السائح من نشاطٍ عبر حركته المؤقتة خارج محل إقامته المعتادة، حيث نصّت منظمة الأمم المتحدة عام 1937 على تعريف السائح بأنه "ذلك الفرد الذي يسافر لمدة 24 ساعة أو أكثر إلى بلد غير الذي يقيم فيه عادة" (حسنين، 2003).

ب- الأفلام التسجيلية:

يُعرّف الفيلم التسجيلي بأنه "ذلك النوع من الأفلام غير الروائية التي لا تعتمد على القصة أو الخيال بل فيلمٌ يتخذ مادته من واقع الحياة، سواءً كان ذلك بنقل الأحداث مباشرة كما جرت في الواقع، أو عن طريق إعادة تكوين هذا الواقع وتعديله بشكل قريب من الحقيقة الواقعة، عكس الجريدة السينمائية أو الأفلام الإخبارية التي تُصوّر غالباً الحوادث الجارية كما وقعت دون أيّ تدخل أو تعديل أو إبداع في إخراج الصورة، ويعتمد هذا النوع من الأفلام التسجيلية على فكرة رئيسية واحدة، تكون لها قيمة اجتماعية وثقافية ذات مضمون درامي، مهمتها الأولى هي تقديم المعارف والمعلومات بطريقة مشوقة وفنية، ولها في ذلك أشكالٌ متعددة ومدارسٌ فنيةٌ مبتاينة" (عبد الخالق، 2010)، في حين يُعرّفه جريسون اختصاراً بأنه "المعالجة الخلاقة للواقع (Goodwin,2010)

6 - نشأة الأفلام التسجيلية السياحية الفرنسية:

تعتبر المدرسة التسجيلية الفرنسية رائدةً في مجالها، حين أطلق المخرجون الفرنسيون مصطلح "وثائقي" على أفلام الرحلات السياسية والاستكشافية التي اشتهروا بها، وعملوا بكدّ على "توثيقها" بالصورة الثابتة ثم المتحركة، ليأتي لاحقاً "جريسون" ويعمم المصطلح حين أطلقه على كل الأنواع الفيلمية غير الروائية، مع تأكيد على أنه ليست كل الأفلام التسجيلية وثائقية، إنما هنالك العديد من الأفلام التسجيلية تكتسب صفة الوثائقية (الزعيبي، 2016)

دور الأفلام التسجيلية الفرنسية القصيرة في التسويق السياحي للوجهة الجزائرية — بن شراد/ بن أحمد الطاهر

وإذا كانت أصول الفيلم الوثائقي في فرنسا متشعبة حسب بعض المراجع، فإن غالب المتداول يُرجعها إلى الأخوين لومير في باريس، اللذين أسّسا لهذا الفن دون نية حقيقية منهما، بعد أن كانا يحاولان في الأصل تطوير عملية سينمائية تخيلية تقوم على تحريك متتاليات من الصور، عبر فيلمهما الأول *la vie même* الذي قام على تجميع مجموعة من الصور المنتقاة والملقطة من مختلف بقاع العالم وفق منطق كرونولوجي يقوم على احترام تسلسل الأحداث، ليظهر على إثرها ما يعرف بسينما الوثائقيات في فرنسا.

وفي أواخر القرن 19، بدأ الفيلم التسجيلي يخطو خطوات الأولى بالتزامن مع نشوء الفن السينمائي، حين قدم الأخوان الفرنسيان لوي وأوغست لومير عرضاً لمدة دقيقتين وبضع ثوان، تحت عنوان "الخروج من مصانع لومير" ثم "وصول قطار إلى محطة لاسبوتات"، وكانت عبارة عن مقاطع تصور قطاراً يدخل إلى المحطة، أو عمالاً يخرجون من مصنع، فكانت بضع لقطات مفردة تمثل لحظات مسجلة على شريط حساس بمثابة الأشرطة الأولى من تاريخ السينما (التي كانت تسجيلية بطبيعتها)، وهي الأشرطة التسجيلية التي كان يغلب عليها الجانب الإخباري.

وقد استطاع مصورو الأخوين لومير أن يلاحقوا الأحداث وكل ما يثير الفضول، وعملوا على تغطية مساحات واسعة (ومنها الجزائر) وتصويرها وعرضها، مخترعين بهذه الطريقة فكرة الفيلم الوثائقي وإن دون قصد فعليّ منهم، حيث كان يطلق مصطلح *Documentaire* على أفلام الرحلات هذه، ليقوم بعدها بسنوات قليلة المخترع الأمريكي توماس إديسون الشهير بكثرة اقتباساته لأفكار الباحثين والعلماء الآخرين، بتصوير سلسلة من الأفلام التسجيلية عن رقصات الساموا Samoa الهندية واليهودية التي يمكن اعتبارها بدايات لما عُرف فيما بعد بالسينما التسجيلية الإثنوغرافية.

وفي سنة 1989، صوّر الجراح الفرنسي دوايان Doyen عمليات جراحية كان يجريها على مرضاه من أصحاب الحالات المستعصية، وبلغ عدد العمليات المصورة إلى غاية العام 1906 عشرًا، وقال دوايان عن هذه الأفلام التسجيلية أنها جعلته يكتشف ويصحّح عديد الأخطاء التي حدثت أثناء إجرائه العمليات، ليقوم بعد ذلك -ولأغراض عملية صرفة موجهة لطلبة الطب- بتصنيف 15 فيلمًا من أفلامه تلك ضمن مجموعات، بقيت منها اليوم مجموعتان إثنان فقط، إضافة إلى 5 من أفلامه الأخرى غير الطبية، وبين سنتي 1891 و1901، قام أخصائي الأعصاب الفرانكوروماني غيورغ مارينسكو Gheorge Marinescu هو الآخر بتصوير مجموعة من الأفلام التسجيلية القصيرة في مجال

اختصاصه العلمي، أطلق عليها اسم "دراسات بمساعدة السينما توغراف". (خليفة، ثوابتة، 2014)

لفقد تربعت أفلام الرحلات أو ما يعرف بـ *Travelogu* على رأس سلم الانتشار خلال السنوات الأولى من القرن العشرين في فرنسا، وكان موزعو الأفلام يطلقون عليها تسمية "أفلام المشاهد Scenic"، أين كانت شركات الإنتاج وقتها مثل "باتيه Pathe"، وشركة الأخوين لومير الفرنسيين، وغيرها ترسل

دور الأفلام التسجيلية الفرنسية القصيرة في التسويق السياحي للوجهة الجزائرية — بن شراد/ بن أحمد الطاهر
طواقمها الفنية إلى البلاد التي يتشوق المشاهدون الغربيون لمشاهدتها، وتصوير مشاهد تسجيلية
عنها وعرضها في دور العرض لاحقاً. (خليفي، ثوابتة، 2014)
ومن أشهر أفلام المشاهد تلك، نجد فيلم "في بلاد صائدي الرؤوس In the Land of the head hunters
الذي أنتج سنة 1914، وتناول موضوع البدائبة والغرائبية Exoticism التي تنقل واقع حياة
أبناء السكان الأصليين في أميركا، إضافة إلى نوع آخر هو "الأفلام التأملية"، والتي اشتهرت بها شركة
باتيه الفرنسية، مثل فيلم "موسكو ترتدي حُلة من الجليد" المنتج عام 1909، كما ظهرت في فرنسا
"أفلام السير الذاتية Biographical Films" والتي تناولت سير كتاب وشعراء وسياسيين، رافقها ظهور
الفيلم الوثائقي الطويل "جنوب South" والمنتج سنة 1919 عن البعثة الإمبراطورية عبر الأنتركتيكا،
وهي البعثة التي انطلقت سنة 1914 وفشلت في تحقيق هدفها بالوصول إلى القطب الجنوبي، والذي
يعتبر أول فيلم تسجيلي "طويل" وفق معايير تلك الفترة.
كما كان للجزائر حضور في بدايات هذه المرحلة، حين كانت جزءاً من فرنسا الاستعمارية، لكن كثيراً
من هذه الأفلام ضاع أو تعرض للتلف.

7 - تطبيق نموذجي: دراسة حالة تسويق مقومات الجزائر السياحية في فيلم صيف في الجزائر أ- فكرة الفيلم:

جاءت فكرة هذا الفيلم التسجيلي السياحي الفرنسي للإجابة عن سؤال بسيط: ماذا لو ذهبنا في
عطلة صيفية بسيطة إلى الجزائر، وبعيدا عن أجواء الفنادق أو القرى السياحية.. ماهي الأنشطة
"الشعبية" التي يمكن لمواطن فرنسي أو غربي عادي القيام بها، من أجل اكتشاف البلد بعيدا عن
البروتوكولات المخصصة للأجانب وبعيدا عن الأنشطة السياحية التقليدية المكررة؟
لتأتي محاولة الإجابة على هذا التساؤل من خلال هذا الفيلم التسجيلي ضمن سلسلة مكونة من عدة
أفلام تسجيلية سياحية أخرى، قررت شركة بو ترافاي بالشراكة مع القناة التلفزيونية العمومية
الفرنسية الثالثة إنجازها وعرضها من خلال برنامج échappées belles السياحي الفرنسي
الموضوعاتي الشهير، والذي خصّص سلسلة وثائقيات موسمه الجديد للأنشطة الاجتماعية السياحية
المعبرة عن التراثين المادي واللامادي للدول ذات الطابع السياحي. خاصةً تلك التي لا تلقى أنشطتها
السياحية الشعبية حضوراً كبيراً في الفعلين السياحي والتوثيقي، ومن بينها الوجهة الجزائرية.
حيث خصصت الشركتان المنفذتان ميزانية معتبرة قدرها نصف مليون دولار لهذا الفيلم التسجيلي،
حسب ما أوردته المعلومات التي وضعها المعلق رفائيل دي لاكازا على حسابه على موقع التواصل
الاجتماعي تويتر، وذلك من أجل السفر والقدوم إلى الجزائر مع المخرج لوروان ليشنستاين وفريقه
التقني من أجل رصد الفعل السياحي واكتشاف أماكن وأنشطة سياحية محلية، انطلاقاً من الجزائر
العاصمة وإلى غاية مدينة تلمسان على الحدود الغربية مع المغرب.

دور الأفلام التسجيلية الفرنسية القصيرة في التسويق السياحي للوجهة الجزائرية — بن شراد/ بن أحمد الطاهر

فكرة هذا الفيلم التسجيلي، تتلخص في كونه فقد جاء ليرسم صورة الجزائر السياحية، بعيداً عن الأساليب التقليدية لتناول هكذا وجهات، من خلال اعتماده على الفنانة ماليا سعدي للتعرف أكثر على الجزائر انطلاقاً من الجزائر العاصمة وصولاً إلى أقصى حدودها الغربية، من خلال الجمع بين مميزات الأفلام التسجيلية وخصائص التحقيقات والريبورتاجات والمزج بينهما، وإعطاء أكبر قدر ممكن من المعلومات حول حاضر الجزائر السياحي وماضيها، وقد بدأ تصوير هذا الفيلم التسجيلي في صيف سنة 2016، بعد جولة طويلة من الإجراءات الإدارية المعقدة، ودام التصوير ستة أسابيع، شمل سبع ولايات سياحية، وذات تاريخ عريق، مع تركيز كبير على الفعل الثقافي ذو البعد السياحي، مثل الطعام واللباس والعادات وطرق الاحتفال بالأعراس، والحفلات الموسيقية وتربية النحل والخروج قليلاً عن الأفلام التسجيلية السياحية التقليدية في فرنسا.

ب- نتائج تحليل بعض مقاطع الفيلم على المستويين التعييني والتضميني حسب مقارنة رولان بارث السيميولوجية:

يمكن تلخيص أهم النتائج المستخرجة من التحليل السيميولوجي لمفردة البحث ممثلة في فيلم "صيف في الجزائر" التسجيلي السياحي الفرنسي، في النقاط الآتية:

- من حيث الصورة الفيلمية: جنح هذا الفيلم التسجيلي نحو تقديم المناطق السياحية الجزائرية الأهم من خلال رحلة سياحية ذات طابع شعبي أو قليل الميزانية، رفع من خلالها فريق العمل الكلفة، وانتقلوا من سياحة الفنادق والمنتجعات إلى "سياحة الأنشطة اليومية" التي تقتفي الحياة اليومية من تجوّل في الأسواق الشعبية إلى حضور الأعراس وتناول طعام تقليدي محليّ ورؤية الحياة اليومية صيفاً كما هي، على طول عدة أسابيع وفي أكثر من مدينة سياحية جزائرية، بغية تقديم صورة فيلمية بصرية تسجيلية واقعية شاملة عن الفعل السياحي بالجزائر صيفاً بعيداً عن تصنيفات الهيئات الدولية وأرقامها المخيبة عن الفنادق وظروف الاستقبال، وقد اعتمد المخرج لوران ليفشتاين في ذلك تصويراً مقرباً ووظف لقطات متوسطة ومقربة في مجملها، وبمقاطع فيلمية متسارعة وقصيرة لتحقيق أكبر استفادة ممكنة من الحيز الزمني التليفزيوني الثمين الممنوح له، ومسح أكبر قدر ممكن من الأفعال السياحية الممكن تجريبها صيفاً في الجزائر، وقد نجح المخرج في ذلك، وقدم في مُنتجه النهائي صورةً فيلميةً طيبةً عن الجزائر السياحية، لكنه لم يتأخر في نفس الوقت عن ضمّ مجموعة قليلة من الإحالات التضمينية السلبية عن الجزائر الحالية في فيلمه، والنقائص العديدة التي تعرفها الجزائر والتي تجعلها متأخرة كثيراً في المضمار السياحي، مع حرصه على ربط عديد العناصر السياحية الإيجابية مع الإرث الاستعماري الفرنسي الطويل للجزائر بشكل ضمني غالباً، خاصةً في المقاطع الأولى من فيلمه.

وقد جاءت صورة الجزائر السياحية في هذا الفيلم قائمةً على المقاطع الفيلمية المتسارعة والمُشَبَّعة بالتفاصيل والمعلومات حول المناطق السياحية التي زارها الفيلم وفريق إنتاجه، عكس الفيلم التسجيلي الأول مثلاً الذي اعتمد مشاهدً طويلةً جداً وصل بعضها إلى عشرين دقيقة، وعلى الرغم من أن هذا الفيلم مرّ ببعض المناطق السياحية المهمة مروراً سريعاً رغم أهميتها الكبرى وهو ما قد يحسب عليه، إلا أنه ومن حيث بناء الصور الذهنية، فقد نجح هذا الفيلم في تقديم صورة ذهنية إيجابية للوجهة السياحية الجزائرية، عبر إظهار مناطق ونشطة مميزة، يندر وجودها في أماكن أخرى من جهة، وعن الفرد الجزائري في حد ذاته بشكل مُساعد في كسر الصور النمطية عن الجزائر في أذهان السياح الغربيين.

• أما من حيث العنوان، فقد وُفق صُناع الفيلم كثيراً في هذا الشق، من خلال تركيزهم على الفكرة الأساسية التي يرمون لتقديمها، أين عبّر عنوان الفيلم "صيف في الجزائر" بشكل ممتاز عن هدف الفيلم وهو قضاء وقت طيب في الجزائر السياحية بطريقة غير متكلفة، فما العناوين بالمحصلة سوى عرضٌ مقتضبٌ ودقيق عن فكرة الفيلم التسجيلي كما سبق وأن نوّهنا.

• من حيث اللقطات وزوايا التصوير: اعتمد المخرج أنواعاً متباينةً مختلفةً من اللقطات، ارتكزت أساساً على اللقطات المتوسطة والمقربة التي تتماشى مع طبيعة الفيلم وأهدافه الفنية السياحية الكبرى، مع محاولة التنوع بين القطّات السردية التي تساعد في نقل تجارب حياتية واجتماعية للشخصيات المشاركة بطريقة فنية وقادرة على التعبير عن الأمكنة وتقديم صور عامة عنها بالإضافة إلى بعض اللقطات الكبيرة والعامة التي وظفها المخرج لضرورات فنية بحتة، وإن كانت أغلب اللقطات قد أعطت انطباعاتاً بوجود إعجاب كبير من المخرج بالمواقع والأنشطة السياحية الجزائرية، إلا أنه كان هناك قلة اهتمام ببعض المواقع والأنشطة الصيفية والمرور عليها سريعاً كما أشرنا سابقاً.

ولم يعتمد المخرج مشاهد طويلة أو متتالية في نفس الفضاءات المكانية، بحيث لا تعود كاميرا المخرج إلى نفس الموقع أكثر من مرة وتغوص في كل مرة فيه أكثر بالتوازي مع مواقع أخرى أو شخصيات أخرى أو أنشطة سياحية صيفية أخرى، حتى لا يشعر المتابع بالملل أو يفقد حماسه، مع إعطاء المشاهد وقته الكافي للتعرف على كل نشاط أو مكان أو شخصية بما يخدم الوجهة السياحية الصيفية الجزائرية وبناء صورتها الذهنية عند المشاهد الفرنسي (والغربي عموماً)، وإقناعه بها.

لقد أتاح هذا الفيلم التسجيلي السياحي اهتماماً عميقاً بالأنظمة الحياتية المرتبطة بالفعل السياحي الصيفي الجزائري بشكل متعددٍ تعدد المناطق الجغرافية التي غطاها الفيلم،

الموجودة في الجزائر، وربط كثيرا من الأنشطة السياحية المحتملة بالنظام الحياتي والمعيشي للشخصيات التي قام الفيلم بمتابعتها ومرافقتها.

• كما رفض هذا الفيلم التسجيلي السياحي الصور الخاطئة والمنمطة عن الجزائر ووجهتها السياحية خاصة خلال الفترة الصيفية التي كانت موضوع الفيلم الأساسي، وحاول تقديم صورة فيلمية ذهنية طيبة وصحيحة وجديدة ومن زاوية مختلفة عما هو سائد أو منمط في ذهن المشاهد الفرنسي، وهذه المحاولات الحميدة لتقديم الجزائر بعيداً عما هو معروف عنها في السينما الفرنسية (الروائية منها على الأقل) هو جهد محمود ساعد في إبرازه طبيعة السينما التسجيلية التي لا تخضع للأحكام المسبقة كما هو الشأن في السينما الروائية مثلاً.

• أما من حيث المعلومات والصادر، فقد حرص هذا الفيلم التسجيلي شأنه شأن أي وثائقي على تقديم معلومات هامة ومفيدة عن الوجهة السياحية الجزائرية صيفاً، بطرق تنوّعت بين الطريقة المباشرة وغير المباشرة، لعلّ أهمها اعتماده على الشهادات الشخصية ومعلومات الدليل السياحي الذي لعبته كل شخصية من الشخصيات التي رافقها الراوي رافائيل دي كازبيانكا، بالإضافة طبعاً لمعلومات فريق التوثيق والإعداد، وأيضاً حسب ما يحكيه كل موقع، وكل منطقة جغرافية وآثارها مثل حي لقصبة وقصوره، وعادات وتقاليد كل مدينة سواء العاصمة أو تلمسان، وإيراد المخرج معلومات حول التاريخ المرتبط بهذه العادات سواء كانت أعراساً أو طعاماً أو طبوعاً موسيقية.

• أمّا من حيث الأساليب الإقناعية، فقد حاول هذا الفيلم التسجيلي السياحي الفرنسي أن يزاوج بين الأسلوبين العقلي والعاطفي للإقناع بالوجهة السياحية الجزائرية خلال موسم الصيف والتعريف بها، وحاول الموازنة بينهما، وهي الأساليب التي تولاهما الراوي وقدمها بالتزامن مع المشاهد الفيلمية التي يتناولها الفيلم، مع تسجيلنا أفضلية للأساليب العاطفية بفضل التجارب الشخصية والنماذج البشرية المتنوعة والغنية والإنسانية التي ظهرت في هذا الفيلم التسجيلي.

• وعن الخطاب المستعمل في هذا العمل، فقد كان خطاباً إيجابياً في مجمله عن الوجهة السياحية الجزائرية من وجهة النظر الفرنسية، وهذه الإيجابية يتقاسمها هذا الفيلم التسجيلي السياحي مع الفيلمين السابقين، ونلمس هذا الخطاب على مستويين اثنين: مستوى أول ألسني وثنائي بصري، مع تسجيل خطابات بصرية جاءت بشكل تلمحي به بعض التوريات التي نفهم من السياق المشهدي، خاصة تلك التي تتناول حالة الإهمال التي طالت معالم الجزائريين وعاداتهم وتقاليدهم وتراثهم المادي وغير المادي.

دور الأفلام التسجيلية الفرنسية القصيرة في التسويق السياحي للوجهة الجزائرية — بن شراد/ بن أحمد الطاهر

- أما من حيث الألوان المستعملة، فتتوزع على نوعين اثنين، ألوان ترابية حيادية مثل البرتقالي المائل إلى الذهبي، البني الغامق والرمادي والأزرق الغامق، والتي كانت حاضرة بقوة، خاصة في تلك المقاطع التي تصور موقع القصبة السياحي، وكذا في المشاهد الخاصة بالآثار التاريخية والمتاحف المفتوحة على الهواء في تيبازة وتلمسان، أما النوع الثاني من الألوان فكان من نصيب الألوان الفاتحة وتحديدا الأزرق الفاتح والأخضر الفاتح، مع حضور كبير للون الأبيض وباقي الألوان الفاتحة، والتي حضرت في مشاهد البحر والسموات الصافية، والمساحات الغابية والفضاءات السياحية والترفيهية المفتوحة .
- من حيث الفضاءات المكانية: فقد تمّ تقديم مشاهد الفيلم ضمن مجموعة من المجالات والفضاءات الخارجية والداخلية، أما الخارجية فضمّت مجالات طبيعية كمزارع تربية النحل في تيبازة والبحار والشواطئ بالعاصمة، ومجالات حضرية كالمباني والشوارع والأسواق والموانئ والقصور وعديد المعالم الأثرية، ومردّد هذا التنوع الشديد كان من أجل تقديم صورة مفصلة وشاملة عن وجهة الجزائر السياحية الصيفية وإمكانياتها عبر بناء صورة ذهنية متكاملة تمسّ أغلب المواقع السياحية الجزائرية.
- ومن حيث المونتاج: لقد جاء الفيلم محل التحليل معتمدا على المونتاج الخطي، وهو المونتاج الذي يقوم على تحاشي التداخل المشهدي، واعتماد التسلسل القصصي، بحيث تمّ تقديم لقطات ومشاهد مكانية من خلال جولة تقودها شخصية لها علاقة بالأنشطة السياحية المحتملة وتلعب دور الدليل السياحي ترصد الفضاء السياحي في حالته الطبيعية باعتماد تأطير جماليّ ووصف شاعري نصف سردي.

8- أهم النتائج المتوصل إليها:

لقد توصل الباحثان إلى عدة نتائج، أهمها أنّ هذا الفيلم التسجيلي التسويقي الفرنسي رُوّج بشكل جيد لأهم مقومات الجزائر السياحية، وأظهر التنوع الكبير في مقوماتها الطبيعية (بحر، تل، وصحراء)، وأبرز التنوع الكبير الذي تعرفه في تركيبها البشرية، والثراء الكبير الذي تملكه في الطعام والموسيقى واللباس وغيرها، وكلّ ذلك في زمن قصير نسبيا، رغم تسجيلينا بعض المبالغات التي قد يندرج تحت إطار "الضرورات الفنية" التي يُحتمها أي فعل ترويجي تسويقي.

-إنّ الأفلام التسجيلية السياحية، وفي سبيلها للوصول إلى الجيل الجديد من السياح المفترضين، وفي إطار التعريف بالوجهة الجزائرية بشكل مناسب للجيل الجديد من المتلقين، فقد سوّق مخرج الفيلم لمقومات الجزائر السياحية بشكل مكثف وقصير زمنيا، ضمن قالب قابل للعرض على مواقع التواصل الاجتماعي التي لا مكان فيها للمحتوى التقليدي والطويل والممل، من خلال تقديم عرض غني ومُصور بطريقة جذابة ومبالغ فيها أحيانا من ناحية المحتوى، أما من ناحية الشكل فجاء العمل بكثير

دور الأفلام التسجيلية الفرنسية القصيرة في التسويق السياحي للوجهة الجزائرية — بن شراد/ بن أحمد الطاهر

من الحركة والألوان يثير اهتمام المتفرجين من الجيل الشاب، والذي ساعد المونتاج السريع والموسيقى التصويرية المستعملة في اعطائه مزيداً من الجذب والقابلية للمشاهدة.

-لقد تمّ تقديم الشعب الجزائري على أنه مضياف كريم ومتفتح على كل الجنسيات والأفكار، لمحاولة كسر الصورة النمطية السلبية عن الفرد الجزائري في المخيال الجمعي الغربي، بحيث ظهر الأجنبي محل ترحاب لتجزية وقت طيب في الجزائر، وقد يعاب على هذا الفيلم التسجيلي محاولته تحسين صورة الفرد الجزائري، رغم أن مهمة الأفلام التسجيلية هي إظهار الواقع كما هو، سواءً كان جيداً أم لا .

-ظهرت الجزائر على أنها بلد مسالم يضم تنوعاً في المرافق وتوفراً للاماكن التي تقدم نشاطات ممتعة يجذب السائح الغربي، وهو ما قد يكون مناقضاً نوعاً ما للواقع، ويمكن تفسير ذلك إما بطغيان النزعة العاطفية على صناع الفيلم السياحي هذا، وإما بتعمدهم إظهار هذه العناصر بسبب متطلبات "الفعل الترويجي" الذي يشدد على إظهار أحسن ما يمكن إظهاره وإن تطلب ذلك القفز أحياناً فوق الحقيقة، أو المبالغة في تحسين ما يمكن تحسينه.

-أظهر هذا الفيلم تنوعاً لا مادياً كبيراً للجزائر، سواءً في الطعام أو اللباس التقليدي أو الطبوع الموسيقية المتنوعة التي يمكن للسائح الغربي ان يكون مهتماً بها، والتي عى الفيلم للترويج لها.

-عبر الفيلم عن قيم التسامح والتفتح وتقبل الآخر، فقد رَوَّج هذا الفيلم التسجيلي لقيم إيجابية وصفات حميدة، تُعتبر في كثير من الاحيان معياراً أساسياً للسائح الغربي قبيل اختيار وجهته، وفي هذا الصدد هناك الكثير مما يقال، على اعتبار أنه في كل بلد سياحي (حتى لو كان له باعٌ طويل في التعامل مع السياح) فإن قيم التسامح وتقبل الآخر لا تشمل جميع الأفراد، ولا يمكن تعميم مثل هذه الصفات على الجميع، ما يطرح مجدداً إشكالية الصدق التوثيقي.

-9خاتمة: لقد قدّم هذا الفيلم التسجيلي صورةً فيلميةً طيبة في مجملها عن المقدرات السياحية الجزائرية خلال فصل الصيف على الأقل، بعيداً عن بروتوكولات الفنادق والرحلات المنظمة، وفضل التركيز على أنشطة عفوية ذات طابع اجتماعي غير رسمي، سمحت للمخرج ومن ورائه المشاهدين بالتقرب أكثر من عقلية الجزائريين والتعرف عليهم وعلى عاداتهم وكيفية تعاطيهم مع الآخر (الذي قد يكون لاحقاً سائحاً)، وذلك عبر رؤية سينمائية تسجيلية فرنسية موضوعية في مجملها، ساعدت في بناء صورة ذهنية مقبولة عن الجزائر السياحية صيفاً.

وقد قدّم المخرج رؤيته هذه من خلال محتوى ثري بالألوان والموسيقى التصويرية المحلية، وكثافة المعلومات والتفاصيل والشخصيات الفاعلة التي كانت الوسيط في التعريف بالنشاط السياحي الجزائري والتعبير عن توع تراث البلد، وبتعليقٍ صوتي مميز ومشاهد فيلمية متتالية سعت في مجملها لتحسين صورة الجزائر السياحية الصيفية والتعريف بها لدى المتلقي الفرنسي والغربي عموماً.

10- قائمة المراجع:

أ- الكتب :

- (1) ابراهيم خليل ابراهيم بظاظو، 2006: تطوير المواقع السياحية في الأردن وتسويقها باستخدام نظام المعلومات الجغرافي، أطروحة مقدمة لنيل شهادة الدكتوراه في الجغرافيا، كلية الدراسات العليا بالجامعة الأردنية، عمان، ص 59
- (2) أحمد بن مرسل: 2010، مناهج البحث العلمي في علوم الإعلام والاتصال، ط4، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، ص 195.
- (3) جليلة حسن حسنين: 2003، اقتصاديات السياحة، منشورات جامعة الاسكندرية، مصر، ص 07
- (4) جورج خليف ونبال ثوابتة: 2014، الفيلم الوثائقي: دليل مقترح، منشورات مركز تطوير الإعلام لجامعة بيرزيت، بيرزيت، ص 9
- (5) حسن أبو حشيش وطلعت عيسى: 2018، الصحافة الاستقصائية، مطبوعات كلية الآداب، جامعة الإسلامية، غزة، ص 58.
- (6) فؤاد حاج عبد القادر: 2010، أهمية المزيج التسويقي في ترقية الخدمات السياحية دراسة حالة على فندق الزيتيين بتلمسان، مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماجستير في العلوم التجارية، كلية العلوم الاقتصادية والتسيير والعلوم التجارية، جامعة ابي بكر بلقايد تلمسان، ص 79
- (7) لؤي الزعبي: 2016، الأفلام الوثائقية، منشورات الجامعة السورية الافتراضية، وزارة التعليم العالي السورية، دمشق، ص 15.
- (8) مصطفى يوسف كافي: 2013، أخلاقيات صناعة السياحة والضيافة، مكتبة المجتمع العربي للنشر، عمان، ص 25.
- (9) منال هلال المزاهرة: 2014، مناهج البحث الإعلامي، دار المسيرة للطباعة والنشر، عمان، ص 344.

ب- الكتب باللغة الفرنسية:

- Andrew Goodwin, Garry Whannel 2006; Understanding Television; ed Routledge; London; p101

ج - المقالات:

- نهلة عبد الخالق: 2011 تحليل مضمون للأفلام التسجيلية الوثائقية في قناة الجزيرة الوثائقية الفضائية للمدة من 2011-4-1 و لغاية 2011-4-30، مجلة كلية الآداب، العدد 98، جامعة الملك سعود، الرياض، ص 415.